*يه ليانغ ينغ (Ye Liangying)

تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية

Arabic Language Teaching in Chinese Universities: Inheritance and Innovation

<https://doi.org/10.1515/caas-2021-2003>

تاريخ النشر: 2021-8-30

الملخص: اللغة العربية هي اللغة القومية المشتركة للأمة العربية، وأحد أهم مقومات الهوية الخاصة بها، وهي أيضا حلقة الوصل التي تربط ماضي العرب بحاضرهم ومستقبلهم، حيث إنَّها سجلت على مدار التطور الممتد لأكثر من 1600 عام التغيرات التاريخية للأمة العربية، وجسَّدت شخصيتها وخصائصها، وحافظت على ثقافتها وحضارتها عبر الزمان.

تعتبر اللغة العربية من أقدم اللغات الأجنبية التي تمَّ تدريسها في الصين، ولعبت دورًا محوريًا في تعزيز التبادلات بين الصين والدول العربية في مختلف المجالات سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا. وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، حقَّق تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية تطورًا باهرًا في ظلَّ التوجيه التعليمي المستنير، ونجح في إعداد دفعات من أكفاء متميزين ساهموا وبساهمون في تطوير العلاقات بين الصين والبلدان العربية. وبعد دخول القرن الحادي والعشرين ومع إنشاء منتدى التعاون الصيني العربي وتوطيد علاقات التعاون الاستراتيجي الصينية العربية، وخاصة مع طرح مبادرة "الحزام والطريق" ومفهوم "مجتمع ذي مصير مشترك للبشرية"، خطت علاقات التعاون الودية بين الصين والدول العربية عتبة جديدة على أصعدة مختلفة. وتزامنًا مع ذلك دخل تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية مسار التطور السريع، وحقق نتائج لافتة.

الكلمات مفتاحية: الجامعات الصينية؛ تعليم اللغة العربية؛ البحوث الأكاديمية؛ مسار التطور

Abstract: The Arabic language is the common official language for the Arab nation, and one of the most important components of its identity, and it is also the link that connects the past of the Arabs with their present and their future, as it recorded the historical changes of the Arab nation over the course of the development extending for more than 1,600 years, and embodied its characteristics and preserved its culture and civilization through time.

Arabic is one of the oldest foreign languages taught in China, and it played a pivotal role in promoting exchanges between China and Arab countries in various fields, politically, economically and culturally. After the founding of the People's

* يه ليانغ ينغ، جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين، بكين، الصين، yeliangying@bfsu.edu.cn

Open Access. © 2021 يه ليانغ ينغ, published by De Gruyter.

This work is licensed under the Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 License.

Republic of China, Arabic language teaching in Chinese universities achieved a remarkable development under the enlightened educational guidance, and succeeded in preparing batches of distinguished people who contributed and are contributing to the development of relations between Arab countries and China. After entering the 21st century and with the establishment of the China-Arab States Cooperation Forum and the consolidation of Sino-Arab strategic cooperation relations, especially with the launch of the Belt and Road Initiative and the concept of “One Community with a Shared Future for Mankind”, the cooperation relations between China and the Arab countries have reached a new threshold on various levels. Simultaneously, Arabic teaching in Chinese universities has entered the path of rapid development and achieved unparalleled remarkable results.

Keywords: Chinese universities; Arabic teaching; academic research; development path

1 المقدمة

أثبتت السجلات التاريخية أن الإسلام دخل أول ما دخل إلى الصين مع توافد البعثات العربية إليها في عصر عثمان بن عفان (644-656م) الموافق لعهد أسرة تانغ الملكية (618-907م)، كما أشارت إلى أن التبادلات بين الأسر الصينية الملكية وبين الدولة الإسلامية في العهدين الأموي والعباسي لم تتوقف، بل تزايدت وتكثفت، حتى استقر عدد كبير من العرب - تجارًا كانوا أو مبعوثين أو فنيين - في الصين أيام أسرة يوان (1264-1368م)، وانتشرت اللغة العربية متزامنة مع ذلك بين الجالية العربية والمسلمين الصينيين. أما تعليم اللغة العربية في الصين فبدأ أول ما بدأ أيام أسرة تانغ، وازدهر في الأسرتين يوان ومينغ (1368-1644م)، مما يشير إلى أن تاريخه يرجع إلى ما قبل أكثر من ألف سنة. ولكنه مع ذلك كان يقتصر على المساجد في بادئ الأمر، ولم يدخل الجامعات الصينية إلا قبيل تأسيس جمهورية الصين الشعبية.

ففي عام 1946، استقدمت جامعة بكين السيد محمد مكين الذي عاد من مصر بعد إكمال دراسته في جامعة الأزهر كأستاذ، وكلفته بإنشاء قسم اللغة العربية في كلية اللغات الشرقية. وبدأت جامعة بكين في العام نفسه قبول الدفعة الأولى من الشباب الصينيين - كان كلهم من قومية هوي المسلمة - لدراسة اللغة العربية كتخصصهم الجامعي، وصاروا بعد تخرجهم كوادراً أو أكاديميين أو أساتذة، ساهموا مساهمة كبيرة في إقامة العلاقات بين الصين الجديدة والدول العربية، وفي تعريف الصينيين بالثقافة العربية الإسلامية، وتعليم الشباب الصينيين الجامعيين اللغة العربية. وهكذا تم إدراج تخصص اللغة العربية لأول مرة إلى منظومة التعليم العالي في الصين.

2 فترة التطور النشط: من 1949 إلى 1966

بعد نضالات شاقة مريرة استمرت لـ 28 سنة، أفلح الشعب الصيني تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني في تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام 1949، الأمر الذي فتح صفحة جديدة في مسيرته لتحقيق حلم النهضة بالأمة الصينية. وولجت الصين على إثر ذلك مرحلة التنمية المستقرة التي طالت مختلف الأصعدة، بيد أن الدول الغربية - وعلى

رأسها الولايات المتحدة - كانت تتبنى سياسة التطويق والاحتواء ضدّ الصين الجديدة. وسعيًا إلى توسيع آفاق التعاون مع الدول الأخرى، قاد رئيس مجلس الدولة تشو أن لاي بنفسه العمل الدبلوماسي تجاه دول آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية. وفي مايو عام 1956، أسست جمهورية الصين الشعبية وجمهورية مصر العربية علاقات دبلوماسية على مستوى السفراء، مما جعل مصر أول دولة عربية وشرق أوسطية وإفريقية تقيم علاقات دبلوماسية مع الصين. وحتى عام 1965 تمّت إقامة علاقات دبلوماسية بين الصين و10 دول عربية، وهي سوريا واليمن والعراق والمغرب والجزائر والسودان والصومال وتونس وموريتانيا إلى جانب مصر. وبعد ذلك شرع الشعبان الصيني والعربي اللذان ظلا يتبادلان وديا منذ القدم على "طريق الحرير البري" و"طريق التوابل البحري"، يسعيان للمضي قدما بدا بيد في سبيل تحقيق النهضة للأمتين العظيمتين.

وفي ظل هذا الوضع باتت الصين في أمس الحاجة إلى أكفاء متخصصين في اللغة العربية في مجالات السياسة والدبلوماسية والتجارة والإعلام وغيرها، فعمدت عدة جامعات في بكين وشانغهاي أكبر مدينتين في الصين إلى ضم تخصص اللغة العربية إلى مناهجها التعليمية بعدما كانت جامعة بكين قد سبقت إلى ذلك، فشهد تعليم اللغة العربية في الصين مرحلة التطور السريع في تأهيل كفاءات متخصصة عالية المستوى.

وفي عام 1949، قبلت جامعة بكين الدفعة الثانية من الطلاب المتخصصين في اللغة العربية. أما اعتبارا من عام 1951، فبدأت جامعة بكين تقبل سنويا ما يتراوح بين 15 و30 طالبا يدرسون في فصل أو فصلين. وكانت مدة الدراسة 5 سنوات. وفي عام 1956، وبتعليمات من رئيس مجلس الدولة تشو أن لاي، وضعت وزارة التربية والتعليم خطة الـ12 عاما لتأهيل الأكفاء (1956-1967). ووفقا لهذه الخطة، تم إنشاء تخصص اللغة العربية في 8 جامعات أو معاهد، وهي جامعة الاقتصاد والتجارة الخارجية (1954)، ومعهد الشؤون الدبلوماسية (1958) وانضم قسم اللغة العربية فيه إلى جامعة الدراسات الأجنبية ببكين (1962)، وجامعة الدراسات الدولية بشانغهاي (1960)، والمعهد العسكري للغات الأجنبية بلويانغ (1960)، وجامعة الدراسات الأجنبية ببكين (1961)، ومعهد التجارة الخارجية بشانغهاي (1961) وانضم قسم اللغة العربية فيه إلى جامعة الدراسات الدولية بشانغهاي (لاحقا)، وجامعة اللغات ببكين (1964)، والمعهد الثاني للغات الأجنبية ببكين (1964). وأضيف إلى ذلك وبترخيص من الدولة أسست مدينة بكين في عام 1955 معهد العلوم الإسلامية الصيني، والذي يختص بتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية. وحتى الآن ما زالت هذه الجامعات والمعاهد العالية في طليعة الجامعات الصينية في تنشئة متخصصين في اللغة العربية، وأعدت ألوف الأكفاء الذين ساهموا ويساهمون في تطوير العلاقات الصينية العربية في مجالات شتى، منهم وزراء وسفراء ودبلوماسيون وجنرالات وأساتذة وأكاديميون وإعلاميون ومديرون في الشركات والخ.

والأساتذة الذين أنشؤوا تخصص اللغة العربية في الجامعات الصينية، منهم محمد مكيون ونا جونغ وليو لين روي وبو تشانغ رونغ، كلهم من الأكاديميين الكبار في فقه اللغة العربية أو الأدب العربي أو العلوم الإسلامية، وكلهم قد تعلموا العربية سنوات طويلة في مصر، واشتهروا بين الأجيال القادمة من المستعربين الصينيين برقي مستواهم في العربية وإخلاصهم في العمل وعدم ميالاتهم بالمصالح أو الشهرة الشخصية. فإنهم بدأوا العمل من الصفر، وقاموا بوضع المناهج التعليمية وتأليف الكتب الدراسية وتصميم الطرق التعليمية المناسبة للشبان الصينيين مستفيدين من خبرات الغير وتجارب أنفسهم في الدراسة والتدريس، وشكلوا رزمة من المصطلحات اللغوية الخاصة التي تشمل النحو والبلاغة والشريعة الإسلامية، وتمّ توارثها عبر السنين، وقدموا بذلك استكشافًا مضيئًا في جوانب تعليم اللغة العربية والترجمة والدراسات العلمية، كما بلوروا نموذجًا تعليميًا محكمًا جديدًا يركز على رفع قدرات الطلبة على استخدام اللغة استماعًا وتحدثًا وقراءة وكتابة وترجمة، وعلى تكوين مؤهلاتهم الثقافية الشاملة ووعيتهم بخدمة المجتمع. ونأخذ في هذا الصدد كلية اللغة العربية بجامعة الدراسات الأجنبية ببكين كمثال، ففي تلك الأونة كان الموجه الفكري لتعليم اللغة العربية فيها يتمثل في "الاهتمام بالتطبيق والاستماع والتعبير الشفوي؛ والاستشعار الحسيّ أولاً، والعقلانية ثانيًا؛ والاستماع والتعبير الشفوي أولاً، والقراءة والكتابة ثانيًا". واستطاع هذا النموذج التعليمي بكفاءة قهر خاصية ضعف القدرات السمعية وضعف قدرات التعبير الشفوي عند من تخرجوا سابقا معتمدين على النموذج التقليدي.

ومنذ تم إدراج تخصص اللغة العربية في المنظومة التعليمية العالية في الصين، حظيت الأعمال المتعلقة بوضع المواد التدريسية وتحرير المعاجم باهتمام كبير. ففي خمسينيات وستينيات القرن العشرين قدم السيد ما جيان (محمد مكين) من تخصص اللغة العربية بجامعة بكين، مجهوداً قِيماً في هذا الجانب، وألف عدة كتب مدرسية منها "كتاب القراءة للغة العربية - المستوى الابتدائي" و"كتاب القراءة للغة العربية - المستوى العالي" و"مختارات الأدب العربي" و"تاريخ الأدب العربي"، كما ألف أيضاً كتاباً دراسية للقواعد اللغوية، "حيث لم يعمل على تلخيص الخصائص والقواعد في النحو والإعراب للغة العربية فحسب، بل عمل بصفة علمية على وضع منظومة باللغة الصينية للمصطلحات النحوية للغة العربية، ويعتبر هذا إسهاماً كبيراً من طرف السيد ما جيان تجاه تعليم اللغة العربية في الصين (لي تشان تونغ، 2000، ص168)". وهناك أيضاً إسهام آخر كبير قدمته جامعة بكين في أواسط القرن الماضي لتعليم اللغة العربية، وهو تأليف "معجم العربية الصينية"، الذي أصدرته دار النشر التجارية في عام 1966، وطُبعت منه طبعات عديدة. وخلال نصف قرن من الزمن ظلَّ هذا المعجم يلعب دوراً مهماً لا غنى عنه في تدريس اللغة العربية والترجمة والأبحاث المتعلقة بها في الصين.

علوّة على ذلك، استفاد تطور تخصص اللغة العربية في هذه المرحلة من القرار الحكيم والتخطيط الشامل من قبل لجنة الحزب المركزية للأهداف التعليمية التي تختلف من جامعة إلى أخرى، بينما يكمل كلّ منها الآخر. وعلى سبيل المثال، كانت جامعة بكين حينذاك تُعدّ المدرسين للجامعات التي احتضنت حديثاً تخصص اللغة العربية؛ وكانت جامعة الدراسات الأجنبية ببكين تُعدّ أكفاء لوزارة الخارجية وإدارات الشؤون الخارجية المركزية الأخرى؛ وكان المعهد الثاني للغات الأجنبية ببكين يُعدّ أكفاء يمارسون العمل الدبلوماسي الشعبي على الأصعدة الرياضية والثقافية والسياحية؛ وكانت جامعة اللغات ببكين تُعدّ مدرسين متخصصين في تدريس اللغة الصينية كلغة أجنبية تجاه العرب؛ وكانت جامعة الاقتصاد والتجارة الخارجية تُعدّ أكفاء يساهمون في تنشيط التجارة الخارجية للبلاد، وكان المعهد العسكري للغات الأجنبية بلويانغ يُعدّ أكفاء للتبادل والتعاون في المجال العسكري.

ففي غضون 17 عاماً بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، وتحت رعاية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني وإشراف وزارة التربية والتعليم، ازداد عدد الجامعات التي تحتضن تخصص اللغة العربية من واحدة إلى ثمان، مما لبى بشكل أساسي متطلبات الدولة في الشؤون الخارجية، كما أعد رواداً لتطوير التخصص في الجامعات الصينية، مما يكفل له تطوراً سليماً ومستداماً.

3 فترة الانحطاط: من 1966 إلى 1976

في عام 1966، عندما كان تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية يشهد تطوراً نشطاً، بدأت "الثورة الثقافية الكبرى" التي دامت 10 سنوات، وتضرر منها المجال الثقافي والتعليمي تضرراً شديداً، وخاصة مجال تعليم اللغات الأجنبية. وبطبيعة الحال أن تخصص اللغة العربية لم يسلم من الكارثة. فكانت عملية التدريس تتعطل تماماً، والأساتذة الذين كانوا يتفرغون في التدريس والبحث الأكاديمي يتعرضون لمعاملات غير لائقة، والطلبة الذين تم اختيارهم لإكمال الدراسة في البلدان العربية لم تتح لهم فرصة السفر.

ولحسن الحظ أنّ رئيس مجلس الدولة تشو أن لاي ونائبه تشين يي وغيرهما من القادة الشيوعيين كانوا يعرفون أهمية تعليم اللغات الأجنبية، ويعيرون اهتماماً خاصاً به. وكان تشو أن لاي يشجع الأساتذة والطلبة في جامعة بكين وجامعة الدراسات الأجنبية ببكين قائلاً: "لا بدّ لأكفاء متخصصين في اللغات الأجنبية من إتقان علوم أساسية تشمل ثلاثة جوانب، وهي الفكر السياسي، واللغة نفسها التي تشمل الصوتيات والقواعد النحوية والمفردات ومهارات الاستماع والتعبير الشفوي والقراءة والكتابة والترجمة، ومختلف المعارف الثقافية... ولا بدّ من إتقان كل هذه العلوم تلبية لاحتياجات الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكي (فو كه، 1986، ص116)". وكان تشجيعه المستنير يبعث في نفوس المدرسين والطلبة نور الأمل، فبدأوا يتحركون للممارسة اللغوية اليومية، مما مكّنهم من مباشرة العمل فور تخرجهم من الجامعة.

وفي عام 1971، أعادت الجمعية العامة للأمم المتحدة العضوية الشرعية لجمهورية الصين الشعبية، فعادت الصين إلى الأمم المتحدة، وبدأ التبادل والتعاون بينها وبين الدول العربية يحرزان تقدماً ملحوظاً، وتمت إقامة علاقات دبلوماسية على مستوى السفراء بينها وبين الكويت ولبنان في العام نفسه، وبين جزر القمر عام 1975. وفي ظل هذا التطور، استأنف تخصص اللغة العربية في الجامعات الصينية إلا جامعة اللغات ببيكين قبول الطلبة الجدد اعتباراً من عام 1972، بحيث تجاوز عدد المتعلمين حينذاك 500 طالب وطالبة، وهكذا بدأ تعليم اللغة العربية في الصين يبتعد عن الشتاء القارس لاستقبال الربيع الدافئ، ونجح في تكوين كوادر أو أساتذة أو أكاديميين قدموا عطاء وفيراً لتطور تعليم اللغة العربية والبحوث العلمية ذات الصلة بها في الصين.

4 فترة الازدهار: من 1978 إلى 2003

في عام 1978، تم تشكيل الجيل الثاني من القيادة المركزية للحزب الشيوعي الصيني التي اتخذت السيد دنغ شياو بينغ نواة لها، وبدأت الصين تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح، ودخلت على إثر ذلك حقبة جديدة من الازدهار والتطور. ففي أغسطس من العام نفسه، عقدت وزارة التربية والتعليم ندوة وطنية خاصة بشأن تعليم اللغات الأجنبية، استهدفاً إلى تلخيص التجارب والدروس والعبر التي هيأتها لها الثلاثون عاماً التي عاشتها الصين الجديدة، وإلى دراسة ماذا وكيف يمكن لتعليم اللغات الأجنبية أن يساهم في البناء الوطني على نحو شامل في العصر الجديد. وتوصلت الندوة إلى وثيقة "العديد من التوصيات لتعزيز تعليم اللغات الأجنبية"، التي اهتمت على نحو خاص بتحسين جودة التعليم للغات الأجنبية من خلال النهوض بالعملية التعليمية، كما تطرقت إلى المتطلبات لبناء تخصصات جديدة والتوزيع العلمي للغات الأجنبية في المناطق المختلفة، وتأليف الكتب الدراسية ورفع كفاءة المدرسين. وسرعان ما تم تنفيذ هذه التوصيات، فشهد تعليم اللغات الأجنبية في الصين تطوراً لا مثيل له في التاريخ. تزامناً مع سياسة الإصلاح والانفتاح وتزايد طلب البلاد على كفاءات متخصصة في اللغات الأجنبية، بات تعليم اللغة العربية على أعتاب عصر جديد في تبني أهداف واستراتيجيات تعليمية ملائمة، ووضع مقررات تدريسية وتأليف كتب منهجية وإجراء بحوث أكاديمية وغيرها. وبحلول عام 1990، تمت إقامة علاقات دبلوماسية بين الصين وجميع الدول العربية، إيداناً بتنامي التعاون والتبادل بينهما على الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية. وفتح تطور التعاون الودي بين الجانبين أفاقاً جديدة لتطوير التعليم للغة العربية، وذلك يتمثل في جوانب مختلفة:

1.4 تشكيل لجان توجيهية لتعزيز التخطيط العام لقضية التعليم للغة العربية

يُعدّ تشكيل لجان توجيهية هي الخطوة العملية الأولى في تخطيط برامج تعليمية ذات فاعلية خاصة. ففي نوفمبر عام 1980، تم إنشاء لجنة تأليف ومراجعة الكتب الدراسية للغات الأجنبية تحت إشراف وزارة التربية والتعليم، ومن مهام اللجنة "تقديم توصيات إلى وزارة التربية والتعليم بشأن خطة التدريس والمناهج التعليمية للغات الأجنبية، وصياغة خطة التأليف للكتب الدراسية لمختلف التخصصات، ومراجعة الكتب الدراسية للغات الأجنبية التي تستخدم على نطاق واسع وترشيحها للنشر؛ تبادل المعلومات المتعلقة باستخدام الكتب الدراسية، واختيار المميز منها (خبر مجلة تعليم اللغات الأجنبية والدراسة فيها، 1980)". وفي عام 1992، تم تعديل اسم اللجنة إلى "اللجنة الوطنية لتوجيه تدريس اللغات الأجنبية في الجامعات والمعاهد العالية"، وتتبع لهذه اللجنة فرقة اللغة العربية التي تقوم بتنسيق وتوجيه تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية. وتجتمع الفرقة سنوياً لاستعراض عملها في العام المنصرم ورسم عملها الرئيسي في العام الجديد، وإقامة ندوات وورشات عمل لتبادل الخبرات والتجارب التعليمية ودراسة المستجدات والمبادرات التطويرية في مجال تقنية التعليم وأسلوبه، وتنظيم امتحان لاختبار مستوى الطلبة

من الدرجة الرابعة، مما يقدم إرشادات قيمة لتطور التخصص ورفع كفاءة المدرسين. وفي عام 1985، وتماشياً مع تطور تعليم اللغة العربية في الصين، تم إنشاء "مجمع اللغة العربية بالصين للتدريس والدراسات"، الذي انضمت إليه جميع الجامعات التي تدرس فيها اللغة العربية. ويهدف المجمع إلى توحيد جهود الجامعات والمعاهد العالية على المستوى الوطني الصيني لتعليم اللغة العربية، وتلخيص وتبادل التجارب والخبرات التعليمية، وتنظيم منتديات علمية، وإقامة تبادل أكاديمي داخلي وخارجي، وتعزيز رفع مستوى التعليم للغة العربية وأدائها والأبحاث العلمية ذات الصلة، وتنظيم نشاطات طلابية مثل مسابقات الخطابة أو الإنشاء أو الترجمة أو الخط العربي أو العرض الفني. وقدم المجمع إسهامات لا يستهان بها في تقديم التوصيات والمقترحات إلى وزارة التربية والتعليم الصينية في تطوير التعليم لتخصص اللغة العربية والتبادل الصيني العربي في مختلف المجالات سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً. والجدير بالذكر أن اللجان المذكورة أعلاه لعبت دوراً نشطاً في تنسيق الجهود وتنظيم التبادل والتعاون بين الجامعات، وفي التخطيط الشامل لتعليم اللغة العربية.

2.4 تبني "منهج تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية" لضبط التدريس

منذ تأسيس الصين الجديدة، اكتسب تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية خبرات وافرة من خلال الممارسات التدريسية الإبداعية. ومع تطوره المطرد بعد تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح، أصبحت صياغة وتبني منهج وطني موحد ضرورة لتحقيق التطور المنضبط والمتوازن لهذا التخصص. وسعيًا إلى تنظيم عملية التعليم للغة العربية على مستوى الدراسات الجامعية وجعلها تؤسس على مستوى علمي متقدم، والوصول بها إلى مستوى تعليمي مرض، تعلم خبراء تدريس اللغة العربية في الصين النظريات اللغوية والتدريسية للغات الأجنبية بشكل نظامي، ولخصوصا تجارب تعليم اللغة العربية في الصين، وأجروا استطلاعات طالت عدة نواح، وجمعوا معطيات مباشرة موثوق بها، وفي الوقت عينه حرصوا على نطاق واسع على الاستماع إلى آراء الخبراء المحليين والأجانب والمدرسين، ليليدعوا في الفكر ويعمّموا الفوائد. وبدفقة هادفة وإتقان محكم بدأوا في عام 1986 بحث وصياغة "منهج تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية"، الذي تم إصدارها رسميًا في عام 2000. قد أوضح هذا المنهج لكل فصل من التدريس ما يخصه من المؤشرات كما ونوعًا لكلا الجانبين المعرفي والكفائي، بل حدّد لكل مرحلة دراسية غاية التدريس ومبادئه ومحتوياته وترتيباته والتزاماته. وعليه يمكن القول إن المنهج يتحلّى بتوجيه مبدئي عام مع مؤشرات كمية تفصيلية، وفي الوقت نفسه يجمع بين وحدة المطالب والترتيب المرن، إضافة إلى الاهتمام بتدريب المهارات اللغوية الأساسية، وتكوين القدرات الشاملة عند الطلاب. وبفضل تضافر الجهود من الأساتذة، تمّ في العام نفسه تأليف ونشر "جدول المفردات لمنهج تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية"، الذي يضم 9000 مفردة و3000 عبارة اصطلاحية، مما جعله مرجعًا معتمدًا لتدريس اللغة العربية وإجراء اختبارات على نطاق الصين. وبعد إصدار المنهج وجدول المفردات، عملت مختلف الجامعات على وضع الخطط التنفيذية والنظم والمتطلبات المحددة لمختلف المقررات التدريسية على ضوء هذا المنهج. وعلى سبيل المثال فيما يتعلق بوضع المقررات عملت مختلف الجامعات على تعديل مواد اللغة والأدب القائمة أصلاً، وهذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى وسعت من اتجاه التخصص، وعملت على الإتيان بمواد التجارة والاقتصاد والدبلوماسية والإعلام والسياسة الدولية وأبحاث الدول المحددة وغيرها، بينما عززت من تعليم اللغة الأجنبية الثانية من أجل توسيع رؤية الطلاب والعمل بشكل أفضل على ملاءمة متطلبات التواصل الخارجي. يعتبر "منهج تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية" تلخيصًا تاريخيًا شاملاً لتعليم اللغة العربية في الصين عبر السنين، وهو منهج متكامل وكفاء على مستوى الدراسات الجامعية للغة العربية، ووثيقة توجيهية تنظم بشكل علمي نشاطات التعليم في مختلف الجامعات.

3.4 زيادة مقاعد القبول للطلبة وتطوير الدراسات العليا

مع زيادة حجم التبادلات بين الصين والدول العربية في مختلف المجالات، شهدت سوق التوظيف للأكفاء المتخصصين في اللغة العربية طلباً قوياً، فزادت الجامعات مقاعد القبول للطلبة المتخصصين في اللغة العربية، وذلك تتمثل في نواح:

(1) تبادرت خمس جامعات أخرى إلى فتح تخصص اللغة العربية، وهي جامعة القوميات في شمال غربي الصين (1996)، وجامعة يونان (1998)، وأغلقت تخصص اللغة العربية فيها عام (2006)، وجامعة اللغات الأجنبية بتيانجين (2002)، وجامعة نينغشيا (2003)، وجامعة هيلونغجيانغ (2003)، ليزيد عدد الجامعات القابلة لطلبة اللغة العربية إلى 13 جامعة. (2) مع الأخذ في الاعتبار صعوبة اللغة العربية، كانت الجامعات قبل سنة 1994 تطبق نظاماً تعليمياً جامعياً مدته 5 سنوات لإعداد المتخصصين في اللغة العربية. أما بعدها، فقامت الجامعات بإصلاح الإدارة ووسائل التعليم، لتحويل مدة التعليم الجامعي إلى 4 سنوات، مما سَرَعَ وتيرة الإعداد للأكفاء. (3) قبل عام 1990، كان عدد الطلاب في كل صف يتراوح ما بين 10 و18 طالباً فقط، وبعض الجامعات لا تقبل الطلبة في كل عام؛ أما بعد تسعينيات القرن العشرين فزاد عددهم إلى ما بين 20 و30 طالباً في كل صف، كما أن بعض الجامعات تقبل صفوفاً عديدة، وبهذا زاد إجمالي عدد الطلاب بشكل ملحوظ. (4) بدأت الجامعات تعليم اللغة العربية في دورات تدريبية مختلفة، وذلك لتلبية لتنوع الأغراض من دراستها، منها بقصد الزيارة أو العمل في بلد عربي معين، أو من أجل إجراء دراسات للقضايا العربية أو الشرق أوسطية، أو بسبب حاجة التدين. وكانت مدة الدراسة تختلف باختلاف الأهداف، منها نصف سنة أو سنة واحدة أو سنتان وغيرها، هكذا أصبحت أشكال تعليم اللغة العربية في الصين متنوعة ومتفتنة حسب اقتضاء الأمر، مما لبى تنوع المتطلبات الاجتماعية والثقافية لهذا التخصص، وهذا من ناحية، ومن ناحية أخرى "أثر تخصص اللغة العربية في الجامعات تأثيراً إيجابياً واسع النطاق على التعليم الخاص والتعلم الذاتي، وساهم في ازدهار وتطوير تعليم اللغة العربية في بلادنا (دينغ جيون، 2006، ص91)."

وأبرز تطوّر تمّ تحقيقه في مجال تعليم اللغة العربية في الصين بعد الإصلاح والانفتاح هو تطوير الدراسات العليا، إذ تطورت الجامعات من التعليم العالي للغة العربية إلى الدراسات العليا لها. ففي عام 1980، وافقت وزارة التربية والتعليم على جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين لتكون أول مؤسسة تعليمية صينية تمنح درجة الماجستير في تخصص اللغة العربية وآدابها. وعلى إثر ذلك، تمّت الموافقة على جامعة بكين (1983)، وجامعة الدراسات الدولية بشأنغهاي (1986)، وجامعة الاقتصاد والتجارة الخارجية (2003)، والمعهد الثاني للغات الأجنبية ببيكين (2003) والمعهد العسكري للغات الأجنبية بلويانغ (2003) لمنح درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها. وفي عام 1986، تمّت الموافقة على جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين لتكون أول مؤسسة تعليمية صينية تمنح درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها. وبعد ذلك تمّت الموافقة على جامعة بكين (1993) وجامعة الدراسات الدولية بشأنغهاي (1998) لمنح شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها. وبعدها صار لجامعة بكين وجامعة الدراسات الأجنبية ببيكين وجامعة الدراسات الدولية بشأنغهاي حقّ في قبول الذين حصلوا على درجة الدكتوراه لإجراء دراسات فيها. وهكذا غطى تخصص اللغة العربية في الجامعات الصينية جميع سلال التعليم للغة العربية، وهي: (1) الدبلوم: مدة الدراسة 3 سنوات، منها التعليم العالي العام، والتعليم العالي المهني. (2) الليسانس: مدة الدراسة 4 سنوات، منها التعليم التخصصي للغة العربية استماعاً وكتابةً وتحديثاً وترجمة. (3) الماجستير: مدة الدراسة 2-3 سنوات، وينقسم إلى نوعين تطبيقي وأكاديمي. (4) الدكتوراه: مدة الدراسة 3-6 سنوات. (5) ما بعد الدكتوراه: مدة الدراسة سنتان. ومن تخصصات الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها بالجامعات الصينية: علم اللغة العربية، والأدب العربي، وتاريخ العرب، والدراسات الثقافية والاجتماعية العربية، ودراسات القضايا العربية، ونظرية الترجمة وتطبيقاتها. وأدى تطوير الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها في الجامعات الصينية إلى رقي المستوى المهني المتخصص عند المدرسين وقدراتهم على البحوث الأكاديمية، كما أدى إلى دفع تدريس اللغة العربية إلى تجاوز نمودجه الأصلي الذي يتمثل في التركيز على التدريب على المهارات اللغوية، ليتطور في اتجاه إيلاء اهتمام متساو

للمهارات اللغوية واستيعاب المعارف وتنمية القدرات على البحوث العلمية.

4.4 إيلاء اهتمام بتأليف الكتب الدراسية وإصلاح المحتوى التعليمي

تلبية لاحتياجات سوق العمل وضرورة رفع مستوى الخريجين، حرصت الجامعات على تطبيق أحدث أساليب التعليم واتباع أفضل أنظمتها ومناهجه لتعزيز مكانتها التعليمية والعلمية. وفي صدد تأليف الكتب الدراسية أطلقت الجامعات الرائدة في تعليم العربية سلسلة منها مواكبة لتطور العملية التعليمية، وعلى سبيل المثال أطلقت جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين في الفترة ما بين عامي 1982 و1987 الطقم الأول من الكتب الدارسية لمادة "القراءة والنصوص"، والتي تحمل اسم "اللغة العربية" (عشرة أجزاء)، وتتاسب الطلبة من السنة الأولى إلى السنة الخامسة. وكان إصدارها يمثل خطوة كبيرة في تأليف الكتب الدراسية لأهم المقررات التعليمية. وتبعاً لذلك أصدرت جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين سلسلات من الكتب الدراسية المتميزة، منها "أساس المحادثة العربية" (1982) و"المحادثة العربية التطبيقية" (1987)، و"القواعد الأساسية في اللغة العربية" (1983، 4 أجزاء)، و"أساسيات اللغة العربية" (1989-1992، 4 أجزاء) التي تتناسب المبتدئين لتعليم العربية. كما أصدرت جامعة الدراسات الدولية بشأنغهاي "الترجمة الشفوية بين العربية والصينية" (1987) و"دراسة الترجمة بين العربية والصينية - نظرياً وتطبيقياً" (1991) وغيرها من الكتب الدراسية التي شهدت إقبالاً من الدارسين. وحسب إحصاءات قامت بها فرقة اللغة العربية التابعة للجنة الوطنية لتوجيه تدريس اللغات الأجنبية في الجامعات والمعاهد العالية، "في الفترة ما بين عامي 1982 و2000، بلغ عدد الكتب الدراسية التي ألفها أساتذة تخصص اللغة العربية 49 صنفاً (منها كتب دراسية خاصة بالدراسات العليا)، تقع في أكثر من 100 مجلد (قوة شاو هوا، 2011، ص349)". منها 6 أصناف للقراءة والنصوص، وأصناف أخرى مختلفة شملت الترجمة التحريرية والترجمة الشفوية والاستماع والمحادثة، والمطالعة والإنشاء ومواد أخرى لتكوين كفاءات متعددة المهارات عند الطلاب. أما المواد الخاصة بطلاب الدراسات العليا فشملت علم اللسانيات العربية وتاريخ الأدب العربي والمختارات الأدبية العربية والبلاغة العربية وعلم المفردات العربية وتاريخ اللغة العربية والفلسفة العربية الإسلامية والثقافة العربية الإسلامية وغيرها. من أشهر هذه المواد التدريسية سلسلتا الكتب الدراسية اللتان تم تأليفهما بالجهود المشتركة من قبل الأساتذة من ذوي الخبرات الواسعة في ميدان التعليم بجامعة الدراسات الأجنبية ببيكين، وهما "اللغة العربية" المذكورة سابقاً والتي أشرف على إعدادها الأستاذ نا تشونغ، و"أساسيات اللغة العربية" التي أشرف على إعدادها الأستاذ يو تشانغ رونغ. وقد نالت هاتان السلسلتان في عام 1987 و1994 الجائزة الأولى للثمار المتميزة لأعمال العلوم الفلسفية والاجتماعية ببيكين.

تماشيًا مع ما شهدته الجامعات من تطور جبار في إعداد الكتب الدراسية التي تتناول كافة المعلومات والمهارات، تبادرت مختلف الجامعات إلى إصلاح المحتوى والطرق التعليمية حتى تقوم على أسس أكثر علمية، وذلك بالبدء من تغيير طريقة وضع المقررات. فبدلاً من وضع مقررات تُعنى فقط بقواعد اللغة الأساسية والمهارات اللغوية، قامت أيضاً بفتح مقررات تخصصية خاصة بالثقافة والاقتصاد والسياسة والمجتمع وأوضاع الدول وغيرها، وفي الوقت نفسه تهتم بتقوية التطبيق اللغوي، مما يساعد الطلاب على إتقان اللغة العربية استماعاً وقراءة وكتابة وتحديثاً وترجمة، كما يساعدهم على توسيع الجانب المعرفي، والتعرف بعمق على المعارف المهنية في شتى المجالات. ومن هذا النوع من المقررات: الظروف الداخلية والوضع الحالي للدول العربية، والثقافة العربية الإسلامية والمجتمع العربي، والإسلام والقرآن الكريم، والتاريخ العربي، والتاريخ المختصر للأدب العربي، ومختارات من الأدب العربي، والفن العربي، ونصوص من الصحافة العربية، واللهجات العربية، والمقررات التخصصية الثلاثة التي هي على التوالي "السياسة والدبلوماسية العربية والعلاقات الصينية العربية" و"التجارة والاقتصاد في البلدان العربية والتبادل الاقتصادي والتجاري الصيني العربي" و"الثقافة العربية والتبادل الثقافي الصيني العربي". وما يجدر ذكره أنّ هذه المقررات التخصصية الثلاثة، يشمل كل منها ثلاث مواد، وهي مادة

اللمحة النظرية ومادتا الترجمة التحريرية والترجمة الشفوية. وتدرّس مادة اللمحة النظرية باللغة العربية، حيث تم الدمج العضوي بين تعلم اللغة العربية وتعليم المعارف المهنية، حتى نفلح في تكوين معرفة وإطلاع شامل عند الطلاب تجاه المعارف المهنية ذات الصلة، وفي الوقت نفسه يتم تدريب قدرات التعلم الذاتي والقدرات البحثية وقدرة حلّ المشاكل، من خلال مواد القراءة البحثية والنقاش وكتابة بحوث علمية وما سواها من طرق التكوين المتبعة. أما مادة الترجمة بشقيها التحريري والشفوي فتعمل من خلال اختيار مواد شائعة قريبة من مناسبات التبادل الصيني العربي، على تدريب الطلاب أثناء الدرس وبعده على التعرف على مسار العمل والسلوك الأدبي والمصطلحات الأكثر استخداماً والمهارات اللغوية لهذه المناسبات، من أجل أن يلائموا عمل الترجمة على مختلف مستويات التبادل. والمقررات السابقة الذكر بعضها إجبارية والبعض الآخر اختياري، يلقيها عادة أساتذة صينيون، ذلك لأنّ بعض المعلومات لهذه المواد صعبة الفهم، وفي حاجة إلى الشرح والتفسير باللغتين العربية والصينية.

وبفضل ما تبنّته وزارة التربية والتعليم والجامعات من الإجراءات والإصلاحات الهادفة، شهد تعليم اللغة العربية في هذه الفترة ازدهاراً غير مسبوق، وتبلورت منظومة تربوية تضم المرحلة الجامعية ومرحلة الدراسات العليا التي تشمل الماجستير والدكتوراه وما بعد الدكتوراه. وفي الوقت نفسه عملت الدولة على تطبيق السياسات الدينية، فارتفع الطلب على اللغة العربية على المستوى الديني. فإلى جانب فتح تعليم اللغة العربية في 10 معاهد دينية، قامت مختلف المناطق بفتح معاهد أهلية عالية للغة العربية بأحجام مختلفة، مكّمت بذلك الحلقة المفقودة في تبلور تعليم اللغة العربية النظامي في المؤسسات التعليمية العالية في الصين، وباتت بذلك بمثابة موارد بشرية تستحق العناية والتطوير والاستغلال في مجال تعليم اللغة العربية في الصين.

5 فترة السعي إلى التميز: من 2004 حتى الآن

في مطلع القرن الـ 21، وفي ظلّ موجة التعددية القطبية العالمية والعولمة الاقتصادية، شهد الوضع السياسي الدولي تغييرات عميقة، وباتت الدول العربية تلعب دوراً متزايد الأهمية في الشؤون الدولية بوصفها مجموعة مهمة من الدول النامية، كما أن الصين والدول العربية تحظيان بسمة بارزة في التكامل الاقتصادي. وعليه فإن إقامة أليات تعاون جديدة هو أمر لا بد منه لمسايرة تطور الوضع الدولي. وكان من أهم تجلياته إنشاء منتدى التعاون الصيني العربي عام 2004 كإطار تعاوني جماعي متعدد المجالات بين الجانبين، وإطلاق التشارك في بناء "الحزام والطريق" بين الجانبين عام 2014، وإقامة علاقات الشراكة الاستراتيجية بين الصين وعشر دول عربية، وحتى في ظلّ التحديات الخطيرة الناتجة عن تبعات تفشي وباء فيروس كورونا المستجد وصعوبة تحقيق الانتعاش الاقتصادي العالمي، وقعت الصين والبلدان العربية "البرنامج التنفيذي لمنتدى التعاون الصيني العربي بين عامي 2020 و2022"، الذي ينص في الفصل الثاني عشر الخاص بالتعاون في مجال التربية والتعليم والبحث العلمي على ما يلي: "مواصلة تعزيز التعاون في مجال التعليم والبحث العلمي، وتشجيع التواصل بين المؤسسات التعليمية والبحثية لدى الجانبين، وتعزيز ودعم التبادل بين الجامعات الصينية والعربية وزيادة عدد المنح الدراسية الحكومية بخطوات تدريجية، بما في ذلك على مستوى الماجستير والدكتوراه بين الجانبين، ودفع الجامعات الصينية والعربية للعمل على إقامة الروابط بينها، وتشجيعها على إجراء البحوث العلمية المشتركة في مجالات التاريخ والثقافة والتطبيق العلمي والتكنولوجي خاصة توطين ونقل العلوم والتكنولوجيا... وتشجيع التعاون بين مراكز البحوث والدراسات الصينية والعربية من خلال إقامة الندوات والمؤتمرات والمحاضرات وتبادل الإصدارات والمجلات العلمية والفكرية (2020)". مما وضع لنا أنّ البرنامج خطّط للجانبين مسار التعاون التعليمي والأكاديمي العملي، وفتح أفقاً واسعة أمام تطوير تخصص اللغة العربية. وقد تجلّى ذلك في نواح عديدة، من أهمها ما يلي:

1.5 مقاعد القبول للطلبة تشهد زيادة سريعة، وأفاق توظيف الخريجين تبعث على التفاؤل

قبل إنشاء منتدى التعاون الصيني العربي عام 2004، فتحت 13 جامعة تخصص اللغة العربية وآدابها. أما بعد ذلك فشهد هذا التخصص توسعاً سريعاً، ففي أقل من 20 عاماً، يزيد عدد الجامعات التي فتحت تخصص اللغة العربية وآدابها عن 50 جامعة، بالإضافة إلى أكثر من 20 جامعة أو معهداً فتحت تخصص اللغة العربية التطبيقية، ويصل عدد الطلبة الدارسين فيها لشهادات الدبلوم والليسانس والماجستير والدكتوراه ما يقارب 6000 طالب وطالبة. والأكثر من ذلك أنَّ عدد الجامعات التي لها الحق في منح شهادة الدراسات العليا للمتخصصين في اللغة العربية وآدابها بلغ 20 جامعة، مما يشكل نمطاً تعليمياً أكاديمياً مثاليًا لإعداد الأكفاء.

ومن بين الانعكاسات المباشرة لتزايد التعاون الصيني العربي بعد دخول القرن الجديد ازدهار سوق التوظيف لخريجي تخصص اللغة العربية وارتفاع نسبة تشغيلهم واتساع أفق العمل أمامهم. والجهات الرئيسية لتوظيف خريجي الجامعات هي الشركات والمؤسسات في القطاعين الخاص والعام، والوزارات والإدارات الحكومية، والوكالات الإعلامية المركزية والمحلية. والجهات الرئيسية لتوظيف خريجي الدراسات العليا هي الجامعات والمعاهد العالية والمراكز الأكاديمية والبنوك والشركات. تشمل القطاعات التي يعمل فيها الخريجون بشكل أساسي الشؤون الخارجية، والتجارة الخارجية، والتبادل الثقافي والتعليمي الخارجي، والسياحة الدولية، ووسائل الإعلام بشقيه التقليدي والجديد، والصحافة والنشر، والإنترنت، والتجارة الإلكترونية، والصناعات الثقيلة والخفيفة، والتكنولوجيا الإلكترونية، وإلخ.

وبتأثير من وباء كورونا المستجد، أصبح عام 2020 "أصعب عام للتوظيف"، بالمعنى الحقيقي للكلمة، لكن الجامعات الصينية الرائدة لا تزال تحافظ على معدل توظيف مستقر. على سبيل المثال، تخرج في جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين 65 خريجاً لدفعة 2020، و44 منهم حملة شهادة الليسانس و19 منهم حملة شهادة الماجستير، و2 منهم حملة شهادة الدكتوراه. ويبلغ معدل التوظيف للخريجين الجامعيين 91٪، ومعدل التوظيف لخريجي الدراسات العليا 100٪. يمكن القول إن معدل التوظيف المستقر هو الضمان الأساسي للتطور الصحي والمستدام لتخصص اللغة العربية.

2.5 إصلاح نمط التكوين لتحسين جودة التعليم

بعد دخول القرن الجديد شكّلت خصائص عصر العولمة وتغير مركز العمل في البلاد، متطلبات جديدة تجاه كفاءات اللغات الأجنبية. وباتت الكفاءات التي تتقن اللغة الأجنبية فقط أمام تحدي العصر، أما الكفاءات التي تدمج بين إتقان اللغة الأجنبية وجوانب من العلوم الأخرى فأصبحت محطّ ترحيب. وفي ظلّ هذا الوضع الجديد، بدأت الجامعات تبذل جهداً في تكوين أكفاء ذوي مستوى جيد في اللغة العربية، ووعي قوي بالتواصل العابر للثقافات، وإطلاع معرفي واسع، ومستوى معين من المعارف المهنية، وقدرة تطبيقية قوية، ووعي إبداعي قيم، وقوة تنافسية شاملة. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، عملت الجامعات على اتباع نماذج مختلفة وفقاً لتقاليدها التعليمية وخصائص طلابها وقوة طاقمها التدريسي وحاجات المنطقة التي تقع فيها. ومن هذه النماذج أساساً نموذج الدرجة الجامعية المزدوجة المتمثل في "اللغة العربية + التخصص الآخر"، ونموذج المقررات الإضافية التأهيلي "اللغة العربية + المقررات الإضافية"، و"اللغة العربية + الاتجاه التخصصي"، و"اللغة العربية + المعارف المهنية"، وغيرها.

ومن الجامعات التي تبنت نموذج "اللغة العربية + التخصص الآخر"، نذكر قسم اللغة العربية بجامعة بكين أكثر الجامعات شهرة على مستوى البلاد. فإلى جانب نبيل الطلاب درجة جامعية في اللغة العربية وآدابها بعد نجاحهم في التقييم لكافة المواد الدراسية الخاصة باللغة العربية، وكتابة رسالة الليسانس باللغة العربية، يمكنهم أيضاً بعد اجتياز الامتحانات في المواد التخصصية الأخرى، مثل التاريخ، والاقتصاد والتجارة، والإدارة، والتعليم، والدراسات الشرق أوسطية، واللغة الإنجليزية وآدابها، ونجاحهم في كتابة ومناقشة رسالة الليسانس في التخصص

المختار، نيل الشهادة المقابلة لذلك والمعتمدة من قبل وزارة التربية والتعليم الصينية. وبالنسبة إلى نموذج "اللغة العربية + المقررات الإضافية" نذكر جامعة الدراسات الأجنبية ببكين أكثر الجامعات الصينية شهرة في تعليم اللغات الأجنبية كمثال، فبعد أن يكمل طلابها مرحلة التأهيل الرئيسي في اللغة العربية، يمكنهم أن يختاروا تأهيلاً إضافياً في اللغة الإنجليزية، أو الاقتصاد والتجارة، أو الدبلوماسية، أو الإعلام وغيرها من التخصصات، وينالون شهادات من قبل الجامعة بعد أن ينجحوا في امتحانات 9 مقررات للتخصص المختار.

أما نموذج "اللغة العربية + اتجاه التخصص"، فقد تبنته على سبيل المثال جامعة الاقتصاد والتجارة الدولية. فإلى جانب مواد تخصص اللغة العربية يمكن للطلاب اختيار "اللغة العربية + اتجاه التجارة الدولية"، حيث يتعلمون بطريقة نظامية المعارف التجارية والاقتصادية، من خلال دراستهم لمواد تعليمية مثل أساسيات الإدارة الاقتصادية، ومدخل إلى العلوم القانونية، ومبادئ الاقتصاد الجزئي، ومبادئ الاقتصاد الكلي، وكل هذه المواد تلقى باللغة الصينية. وهناك بعض المقررات الأخرى تلقى باللغتين الصينية والعربية مثل مدخل إلى الاقتصاد والتجارة باللغة العربية، ودراسة في النصوص التطبيقية في الاقتصاد والتجارة، ودراسة النصوص العربية في الاقتصاد والتجارة والتفاوض باللغة العربية في الاقتصاد والتجارة.

وعلاوة على هذا، تتبنى معظم الجامعات والمعاهد التي تم فتح تخصص اللغة العربية فيها حديثاً نموذج "اللغة العربية + المعارف المهنية"، بناء على متطلبات سوق العمل. ففي الوقت الذي تعمل فيه على رفع القدرات اللغوية التطبيقية عند الطلاب، من خلال مقررات المحادثة والقراءة والاستماع والكتابة والترجمة التحريرية والشفوية، تضيف أيضاً معلومات السياسة والعلاقات الدولية، والتجارة والاقتصاد، والثقافة والمجتمع وغيرها إلى مقررات اللغة العربية لرفع الوعي المهني عند الطلاب وإعدادهم للتعامل مع العرب مستعنيين بهذه المعلومات الخلفية عن البلدان العربية وعن ثقافة العرب.

ومن جهة أخرى ظلت الجامعات تولي عناية خاصة بمشاركة الطلاب في النشاطات الاجتماعية الميدانية، حيث تضطلع بمهمة الترجمة والأعمال التطوعية في بعض المؤتمرات، فتخلق لهم مناسبات تجعلهم يتواصلون فيها مباشرة مع العرب، ونجد أن هذه الأعمال المجتمعية تساهم في رفع روح المسؤولية عند الطلاب، وتدريب قدراتهم العملية وروح التعاون عندهم، كما تزيد من معرفتهم بالعرب والثقافة العربية واللغة العربية. ومع ذلك كله فإن تغيير نمط التكوين يستدعي منا أولاً وأخيراً المحافظة على المكانة الجوهرية للغة العربية، والقيام بإصلاح متعلق بالمحتوى التعليمي لرفع كفاءة التعليم.

3.5 تأليف سلسلات من الكتب الدراسية الجديدة وفق تطور المطالب

تزامناً مع إصلاح نمط التكوين للجامعيين وتنفيذاً للمطالب الجديدة المطروحة على إثر ذلك، رأى أساتذة تخصص اللغة العربية بالجامعات ضرورة تأليف سلسلات مستجدة من الكتب الدراسية لسد حاجات التعليم من جهة، ومن جهة أخرى لتطبيق مفاهيم التعليم الجديدة التي تهتم أكثر فأكثراً بالاتصالات التفاعلية. فبدأ الأساتذة والخبراء في الأوساط التعليمية للغة العربية في الصين يعملون بما نصّت عليه وثيقة "مقترحات الإصلاح التعليمي لتخصصات اللغات الأجنبية في مرحلة الدراسة الجامعية في القرن الـ21"، ليؤلفوا سلسلات من الكتب الدراسية والكتب التعليمية المرجعية.

لعل أكثر هذه السلسلات تأثيراً وانتشاراً وتداولاً هو سلسلة "الجديد في اللغة العربية" التي أشرفت على نشرها قو شاو هو الأستاذة بجامعة الدراسات الأجنبية ببكين. وتتكون السلسلة من ستة كتب للطلبة مع أربعة كتب للمعلم وتسجيلات صوتية مصاحبة لها. وعلى أساس الأخذ بعين الاعتبار تكوين القدرات اللغوية التطبيقية الفعلية عند الطلاب، اهتمت بمعالجة العلاقة بين المعارف المهنية والممارسة التدريبية اللغوية، كما اهتمت أيضاً بتكوين وتدريب قدراتهم على التعلم والتفكير والنقد والإبداع؛ كما حرص أعضاء فريق التأليف على تضمينها من حيث

المحتوى ما يساعد على رفع المؤهلات الأخلاقية والثقافية والنفسية والفكرية للطلاب عن طريق الاختيار الدقيق للمواد، لتزويد من المعارف الثقافية والاجتماعية والمعلومات الأساسية والعلمية العامة عند الطلاب، مما يحقق بشكل تقريبي عقلانية في الهيكل وثراء في المحتوى وقوة في الفاعلية وروح العصر. ونظرًا لهذا التميز الواضح فقد تم تصنيفها ضمن المشروع البارز في الكتب التعليمية المتميزة على مستوى التعليم العالي بمدينة بكين، كما نالت هذه السلسلة تقديرًا واسعًا من قبل الأساتذة والطلاب الذين يرون أنها ليست أحسن مجموعة في الكتب الجامعية فحسب، بل صالحة لجميع من يدرسون اللغة العربية بالجامعة أو خارجها.

أما "سلسلة المواد التعليمية لتخصص اللغة العربية في المرحلة الجامعية في القرن الجديد" التي أشرف على تأليفها لو بي يونغ الأستاذ بجامعة الدراسات الدولية بشأنغهاي، فهي تُعد كذلك منظومة متكاملة وعملًا متميزًا من حيث الجودة، إذ شملت تقريبًا جميع المطالبات التعليمية التي تضمنها البرنامج التعليمي. وقد انطلقت هذه السلسلة من تعزيز المعارف اللغوية عند الطلاب، كما وضعت نصب عينيها هدف التأهيل ورفع المهارات الخمس، المتمثلة في قدرات التواصل اللغوي وقدرات الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة والترجمة، والارتقاء بشكل شامل بالقدرات اللغوية التطبيقية الشاملة للطلاب. ونظرًا لتمييز هذه السلسلة وتكاملها فقد تم إدراجها من قبل وزارة التربية والتعليم الصينية في "خطة المواد التعليمية الوطنية للتعليم العالي في الخطة الخمسية الـ 11 للتنمية الصينية".

أما كتاب "المنتخب من نصوص لغة الضاد في التجارة والاقتصاد" الذي أشرف على تأليفه الأستاذان يانغ يان هونغ ودينغ لونغ من جامعة الاقتصاد والتجارة الدولية، فقد عمد إلى توجيه الطلاب إلى بحث ومطالعة كمية كبيرة من المقالات المتعلقة بالتجارة والاقتصاد باللغة العربية، الأمر الذي يساعدهم على إتقان المصطلحات التجارية والاقتصادية العربية، والتعود على التعبير بها واستخدامها، والإطلاع على النشاطات التجارية والاقتصادية العربية. وقد تم اختيار هذا المرجع التعليمي في عام 2004 ضمن أحد مراجع التعليم العالي المتميزة في مدينة بكين. أما كتاب "السياسة والدبلوماسية العربية والعلاقات الصينية العربية" الذي يقع في مجلدين وأشرف على تأليفه الأستاذ تشانغ هونغ بجامعة الدراسات الأجنبية ببكين، فقد تضمن المعارف السياسية والدبلوماسية الأساسية، والقضايا السياسية في الدول العربية، والمنظمات العربية الإقليمية الشهيرة، وعلاقات الدول العربية بمختلف الدول الكبرى، والعلاقات الصينية العربية ولغة الخطابة الدبلوماسية وغيرها ليخدم بشكل ملموس الرفع من المهارات اللغوية والدبلوماسية وقدرات العمل الخارجي للطلاب، كما يرفع قدراتهم على تحليل وحل المشاكل، وقد نال في عام 2004 الجائزة الأولى للثمار التعليمية الخاصة بالتعليم العالي بمدينة بكين.

وأخيرًا، فإن كتاب "الإنشاء العربي" الذي أشرف على تأليفه الأستاذ تشانغ هونغ والأستاذة قو شاو هوا بجامعة الدراسات الأجنبية ببكين يتضمن قسمين، ألا وهما التعليم الأساسي في الإنشاء العربي وطريقة كتابة البحث العلمي. وقد دمج هذا الكتاب خصائص الكتابة باللغة العربية من خلال تقديم العديد من الحالات الواقعية، حتى يساعد على إكساب الطلاب المهارات الكتابية ورفع قدراتهم الإنسانية، وتم في عام 2004 تقييمه مرجعًا تعليميًا متميزًا للتعليم العالي في مدينة بكين.

تعتبر الكتب الدراسية حلقة مهمة من عملية التعليم والتعلم، وأداة من أدوات التوجيه التعليمي، وركيزة أساسية للمنهج التعليمي، والأساس الذي يستعين به المدرس في إعداد دروسه، وأهم المراجع للطلبة في عملية التعلم والذاكرة. لذلك ظلت الجامعات الصينية الرائدة تولي اهتمامًا خاصًا بتأليف كتب دراسية تفي بمقتضيات شروط التعليم الجيد.

4.5 إنجازات مثمرة في التبادلات الخارجية والبحوث الأكاديمية

يعتمد تعليم اللغة العربية في الصين أساسًا على الأساتذة الصينيين، بينما تستقدم الجامعات بناءً على قوانين تدريس اللغات الأجنبية، بعض الأساتذة العرب للمشاركة في أعمال التدريس، فساهموا وبسahمون مساهمة كبيرة في إثارة رغبة ودافعية الطلاب إلى تعلم هذه اللغة، والرقى بمستوى التعليم، كما توفد الجامعات سنويًا عددًا من الطلبة - على

حساب الحكومة أو على حساب الطلاب - للدراسة في الدول العربية، حتى تتاح لهم فرصة التعرف على أحوال الدول العربية، تاريخها وواقعها وجغرافياها وثقافتها وتقاليدها وعاداتها عن كثب. وفي الوقت نفسه تدعو الجامعات الصينية العلماء والأكاديميين أو السفراء أو الدبلوماسيين العرب لإلقاء محاضرات أو إقامة معارض فيها، وتستقبل الوفود والشخصيات العربية السياسية أو الثقافية أو الحزبية الزائرة للصين لإلقاء خطاب أو للتبادل مع الأساتذة والطلبة وجها لوجه. وعلى سبيل المثال فقد استقبلت كلية الدراسات العربية بجامعة الدراسات الأجنبية ببيكين العديد من الشخصيات الثقافية العربية المرموقة مثل أدونيس وسعدي يوسف وجمال الغيطاني ونوال السعداوي وواسيني الأعرج وفراس السواح ومسعود ضاهر، ومحمد علي فرحات وأحمد السيد النجار وغيرهم، لإلقاء محاضرات علمية.

إلى جانب ذلك، أقامت الجامعات الصينية الرائدة التي تدرس فيها اللغة العربية وعلومها علاقات التبادل والتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومع عدد كبير من الجامعات العربية، كما تبادلت الزيارات والكتب والمواد التعليمية معها أو مع المؤسسات التعليمية العربية للناطقين بغير العربية. وعلى سبيل المثال، سافرت دفعات عديدة من الأساتذة الصينيين إلى السعودية للمشاركة في مهرجان الجاندرية الثقافي الدولي الذي كان يقام سنوياً قبل جائحة كورونا. وكذلك يشارك الأساتذة الصينيون بنشاط في ندوات ومؤتمرات أكاديمية تقيمها مختلف البلدان - عربية أو أجنبية - لإدلاء بوجهات نظرهم حيال الموضوعات الخاصة بالعرب. ولا مراء في أنَّ الأغلبية العظمى من الأساتذة الصينيين يتعاطفون مع القضايا العربية، وذلك بفضل التماثل الصيني العربي حضارةً ومعاناةً وكفاحاً، وأيضاً بفضل دور لغة الضاد في تقريبهم من العرب مشاعرَ وثقافةً ونفسيةً وروحانيةً. وعلاوة على ذلك قد عَيَّن بعض الأساتذة الصينيين أعضاء مراسلين في الهيئات العلمية العربية المعروفة، منهم الأستاذ تشو ويليه من جامعة الدراسات الدولية بشأنغهاي، والأستاذة قوه شاو هوا من جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين. وبفضل تكاتف التبادل والتعاون الدولي شهد تعليم اللغة العربية ودراساتها في الجامعات والمعاهد الصينية تطوراً كبيراً.

وبفضل جهود الجامعات والدوائر الوظيفية الصينية المختصة، لقيت أعمال تعليم اللغة العربية في الصين إشادة الدول العربية وتأييدها ومساندتها. فعلى سبيل المثال لا الحصر، وقعت جامعة بكين وسلطنة عمان مشروع كرسي السلطان قابوس للدراسات العربية عام 2007. ويهدف المشروع إلى تعزيز التقارب والتفاهم فيما بين الثقافتين العربية والصينية وتطوير التدريس والدراسات العلمية للغة العربية وعلومها في الجامعات الصينية، وإلى دفع التبادلات والتعاونات الفعالة بين الصين والدول العربية في مجالات التعليم والثقافة.

وفي عام 2009، تبرعت الحكومة الإماراتية بمبلغ 2.8 مليون دولار أمريكي لتجديد مركز الإمارات لدراسة اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الذي احتضنته جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين، والذي تم تأسيسه عام 1994 بتبرعات كريمة من المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان خلال زيارته لبكين عام 1990. وفي مارس عام 2012، زار الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبو ظبي المركز، وحضر حفل إعادة افتتاحه بعد أن أجريت عليه صيانة وترميمات شاملة، وتم تغيير اسمه إلى "مركز الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان لدراسة اللغة العربية والدراسات الإسلامية". وقد أصبح المركز مؤسسة تعليمية بارزة لتدريس اللغة العربية والعلوم بها، وصرحاً معرفياً لنشر الثقافة العربية الإسلامية في الصين.

وفي عام 2018، تم افتتاح فرع مكتبة الملك عبد العزيز آل سعود العامة في جامعة بكين، والذي يعد ثاني فرع لها على مستوى العالم، والأول لها خارج العالم العربي. ويسعى فرع المكتبة لرفع مستوى التبادلات الثقافية والتعليمية بين الصين والعالم العربي في إطار مبادرة "الحزام والطريق" الصينية و"رؤية 2030" السعودية، ويوفر لجميع الجامعات والهيئات التعليمية والدراسية، الكتب باللغة العربية بنسخها الورقية والرقمية، وذلك من أجل تعزيز دراسة اللغة العربية في الصين. ويحتوي الفرع على قاعات للقراءة والمطالعة، وقاعة محاضرات ومركز للمعارض المتخصصة إضافة إلى مركز الدراسات العربية الصينية ومكتبة المخطوطات القديمة في جامعة بكين. وتبلغ القدرة الاستيعابية للمبنى أكثر من ثلاثة ملايين كتاب ومادة معرفية، وتم تزويده بأحدث التقنيات المستخدمة بالمعايير العالمية للمكتبات العامة. فضلاً عن ذلك، تنظم المكتبة سلسلة من المنتديات بين الخبراء والعلماء الصينيين والعرب، وترجمة الكتب العربية والصينية، ونشر مجلات باللغتين الصينية والعربية.

إلى جانب تعليم اللغة العربية، بذل وما يزال يبذل نخبة من الأساتذة الصينيين جهودا جبارة ودؤوبة في دراسات وإحصائيات علمية حول مختلف الموضوعات الخاصة باللغة العربية والعلوم المعنية بها وبناطقيها، وحققوا إنجازات مثمرة في ذلك. إذ ألفوا ونشروا عددا كبيرا من الكتب المنهجية والكتب العلمية والرسائل الأكاديمية والأعمال المترجمة، ونقلوا في خلال العشرين سنة الأخيرة أكثر من 100 عمل أدبي إلى اللغة الصينية، منها أعمال لنجيب محفوظ وجبران خليل جبران وجمال الغيطاني وأدونيس وترجمة جديدة لـ"ألف ليلة وليلة" وغيرها. وبرز بين المستعربين الصينيين عدد من الباحثين الكبار، منهم الأستاذ جونج جي كون أستاذ بجامعة بكين، والذي صدر له "تاريخ الأدب العربي الحديث" (2004)، و"تاريخ الأدب العربي الكامل" (يقع في مجلدين، 2010) و"تاريخ الأدب العربي القديم" (مجلدين، 2015). ومن أبرز ترجماته "مختارات الشعر العربي القديم" الذي يضم 431 قصيدة لـ134 شاعرا عربيا. وبفضل إنجازاته المتميزة في بحوث الأدب العربي وترجمة روائعه، نال جائزة استثنائية من قبل وزارة التعليم العالي المصرية عام 2005، وجائزة الشيخ زايد للكتاب (شخصية العام الثقافية) عام 2011، وجائزة خادم الحرمين عبد الله بن عبد العزيز العالمية للترجمة عام 2011، و"جائزة إنجاز العمر للترجمة والثقافة" عام 2018، والتي تعد الوسام الأعلى في مجال الترجمة في الصين.

وهناك عالم مهم آخر هو تشو وي ليه، أستاذ بجامعة الدراسات الدولية بشأنغهاي والمدير الفخري لمعهد دراسات الشرق الأوسط بالجامعة ورئيس التحرير السابق لمجلة "دراسات العالم العربي". ومن مؤلفاته "الشرق الأوسط من منظور باحث صيني"، و"حقائق الثقافة المصرية القديمة"، و"معجم صيني عربي ميسر"، وغيرها، كما ترجم روايات وأعمال ثقافية عربية عديدة. ويشغل الأستاذ تشو وي ليه في السنوات الأخيرة بداراسات استيراتيجية كدراسة ظاهرة الإرهاب والعلاقات الصينية العربية في كافة الأصعدة، ونشر حولها أبحاثا ومقالات كثيرة، كما يحضر دائما مؤتمرات وندوات دولية. وهو ينادي في مناسبات عديدة لبناء دراسات عربية ذات خصائص صينية في الصين، أي أن يكون للباحثين الصينيين موقف من القضايا العربية يختلف عن الموقف الاستشراقي الغربي (شوي تشينغ قوه، 2006).

ومن بين الجيل اللاحق من المستعربين الصينيين البارزين الدكتور شوي تشينغ قوه أستاذ بجامعة الدراسات الأجنبية ببكين. يختص الأستاذ بدراسة الأدب العربي الحديث والقضايا الثقافية العربية والعلاقات الصينية العربية. وقد صدرت له 6 مؤلفات منها "البلاغة العربية"، و"بانوراما الأدب العربي"، وغيرها، و18 عملا مترجما من العربية إلى الصينية: منها أعمال لجبران خليل جبران ونجيب محفوظ وأدونيس ومحمود درويش وغيرهم من كبار الأدباء العرب المعاصرين. وأحدثت معظم هذه الترجمات أصداء واسعة في الأوساط الأدبية والثقافية الصينية، وساهمت مساهمة كبيرة في زيادة معرفة الشعب الصيني للأدب العربي والثقافة العربية المعاصرة، ذلك إضافة إلى ترجماته لأهميات التراث الصيني إلى اللغة العربية بالتعاون مع العالم السوري فراس السواح، ومن هذه الترجمات "لاو تسي" و"محاورات كونفوشيوس" و"منشئوس". وفاز بجائزة الشيخ حمد للترجمة والتفاهم الدولي في عام 2017 في قطر. وإلى جانب ذلك نشر الأستاذ في السنوات الأخيرة مقالات عديدة في صحف عربية كبرى مثل الحياة والشرق الأوسط والأهرام والأخبار والبيان وغيرها، حيث تناولت قضايا مهمة تتعلق بالسياسات الصينية الداخلية والخارجية والعلاقات الصينية العربية، ولقيت إقبالا جيدا من قبل الأوساط الثقافية العربية. كما أن له دورا بارزا أيضا في إعداد عدد كبير من النخبة الصينية الناطقة باللغة العربية والعاملة في مجالات تعزيز التبادلات الصينية العربية.

6 مستقبل تعليم العربية في الجامعات الصينية - الفرص والتحديات

بعد تأسيس الصين الجديدة، حقق تعليم اللغة العربية في الصين بفضل جهود بذلتها أجيال متعاقبة من المستعربين الصينيين حصارًا مثمرًا ونتائج مرضية. ويمكن تلخيص أسباب الاهتمام باللغة العربية في الآتي:

(1) تبرز أهمية الدول العربية في العالم يومًا بعد آخر نظرًا لموقعها الاستراتيجي وإمكاناتها الاقتصادية، ثم إن

الزخم المستقبلي المتمثل في الأفق الرحب والإمكانيات الهائلة لتعميق التطوير الشامل للعلاقات الصينية العربية، شكّل فرصة سانحة وأفقاً جديلاً لتطوير تخصص اللغة العربية؛ وعلاوة على ذلك فإنّ الاهتمام الكبير الذي يمنحه الجانبان الصيني والعربي للتعاون في المجال التعليمي يعتبر دافعاً قوياً لتطوير تخصص اللغة العربية.

(2) تتحلّى المنطقة العربية بمكانة بالغة الأهمية في المجالات السياسية والاقتصادية الدولية، وبالأخص في مجال البترول والطاقة. ومع الارتفاع المستمر للقوة الشاملة للصين ومكانتها الدولية، يتكثف يوماً بعد آخر تواصلها مع الدول العربية. كما أن اهتمامها بقضايا الشرق الأوسط سيتسع ويتعمق، ومن هنا سوف يرتفع باستمرار الطلب على كفاءات اللغة العربية الراقية المستوى.

(3) إنّ الثقافة العربية الإسلامية بوصفها إحدى المنظومات الثقافية الهامة على مستوى العالم، لا تزال تؤثر في الحياة الروحية والمادية لمليار من سكان العالم، وتلعب دوراً لا يمكن التغاضي عنه في مسار التبادل الحضاري والحوار الحضاري الذي يسعى المجتمع الدولي للقيام به، وسيكون لها دور مهم في السلام والتنمية البشرية المستقبلية. واللغة العربية بوصفها حاملة راية الثقافة العربية الإسلامية ووعاء لها، ستكسب بذلك قوة فائقة وعمراً مديداً.

(4) لقد وُفّر التطور السريع لتقنيات المعلومات تسهيلات كبرى لتعليم اللغات من خلال الاعتماد على وسائل البحث التلفزيوني الفضائي والإنترنت وغيرها من وسائل الإعلام الحديثة. وتعليم اللغة العربية في الصين ليس استثناء من ذلك، ففي الوقت الذي تواجه فيه تحديات، كسبت أيضاً مجالاً شاسعاً لنشرها. وسيكون لشراء الموارد التدريسية والخبرات لدى المستعربين الصينيين في مجال التعليم والبحوث الأكاديمية تأثير إيجابي كبير على تعليم اللغة العربية.

بيد أنّ هناك تحديات تواجه تعليم اللغة العربية في الصين أيضاً، بعضها تحدّ مشترك يواجه العاملين في المجال التعليمي بصفة عامة؛ والبعض الآخر مشاكل ومعضلات خاصة تواجه تعليم اللغة العربية كلغة غير متداولة، أو واحدة مما يعرف بـ“اللغات الثانوية”. ويمكن تلخيص التحديات في النقاط التالية:

(1) مع مضاعفة الصين جهود التوسيع والتعميق للانفتاح على العالم الخارجي في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية والإعلامية، لم يتسع من حيث الكم الطلب المجتمعي على كفاءات اللغات الأجنبية فحسب، بل وارتفعت مطالبه من حيث الجودة كذلك. واللغة العربية كلغة غير متداولة لم يلبّ نموذجها التعليمي التقليدي الأحادي المنهج متطلبات المجتمع تجاه كفاءات لغوية عملية ذات معارف مركبة. ورغم أنّه منذ تسعينيات القرن الـ20 بات هناك وعي واضح من طرف العاملين في مجال تعليم اللغة العربية بهذا الأمر، إلا أنّ الواقع لم يشهد إصلاحاً وتعبداً يستجيب لذلك. فمن أجل مواكبة الأوضاع الجديدة لا تزال أماناً مهام إصلاح شاقة لتوسيع مجالات التخصص، وصياغة وتآليف كتب دراسية، وتنويع الوسائل التعليمية وطرق التقييم، مما يتطلب تعبئة كل القوى والموارد في تعليم اللغة العربية في الصين.

(2) هناك تناقضات صارخة بين الوضعية الحالية للتعليم ومتطلبات الإصلاح وبين نسب حجم التعليم والمدرسين والطلاب، وبين حجم اكتتاب الطلاب وفرص التشغيل، الأمر الذي يشكل عائقاً وحاجزاً أمام تطور تعليم اللغة العربية. فعلى سبيل المثال، عندما نتحدث عن حجم اكتتاب الطلاب وتوفير فرص التشغيل، ظلّ طلب الوزارات واللجان الوطنية والمؤسسات الإعلامية على كفاءات اللغة العربية محافظاً على مستوى معين، فهو طلب مستقر إلى حدّ كبير، لكن الطلب في المجال الاقتصادي والتجاري هو طلب متذبذب بين الارتفاع والانخفاض من سنة إلى أخرى، فمن الصعب تقديره وتنبؤّه. والواقع أنّ مشاريع التعاون الصيني العربي، والشركات ذات رأس المال الصيني العربي المشترك، والشركات العربية المستقلة كلها محدودة نسبياً، يضاف إلى ذلك أنّها تميل أكثر إلى اكتتاب كفاءات اللغة الإنجليزية بدلاً من العربية. وهكذا فإنّه بات من الضروري لتخصص اللغة العربية أن يقوم بأبحاث دورية تفصيلية على مستوى سوق الموارد البشرية، ويعمل في الوقت المناسب على القيام بالتعديل المطلوب في حجم اكتتاب الطلاب، وهذا أمر في غاية الصعوبة.

(3) هناك مشاكل يعاني منها تعليم اللغة العربية منذ فترة في بعض الحلقات المحددة في تطويره، مثل ضعف الهيئة التعليمية نسبياً، وتخلف عملية البناء والتطوير للكتب الدراسية، وضعف نشاطات البحث العلمي والأكاديمي وغيرها. ومع تقاعد الأساتذة والمستعربين الصينيين الكبار في السنّ، ظهر وضع لا يبشر بالتفاؤل، إذ تعاني العديد

من تخصصات اللغة العربية من النقص في أعضاء الهيئة التعليمية والفريق الأكاديمي؛ ثم إن الأعمال المتعلقة بتجديد وتحسين المواد التدريسية القديمة وتأليف أخرى جديدة وتحرير مراجع تعليمية تتلاءم والمتطلبات، ونشاطات البحث العلمي في المجالات ذات الصلة تسير بخطى مثقلة بسبب قيود من عوامل متعددة، تعوزها الجهود وسعة الباع.

ويختار معظم المدرسين الأدب العربي والثقافة الإسلامية والفكر العربي المعاصر وقضايا الشرق الأوسط واللغة والترجمة العربية كاتجاه بحثي شخصي، وهناك قلائل يتخصصون في نظريات اكتساب اللغة الثانية وتطبيقاته التعليمية. ورغم كل ما تقدم، فإنهم يعملون من خلال تعلم النظريات المتعلقة بتطبيق اللغات والبيداغوجيا والربط بينها وبين تجربتهم التدريسية للقيام بتلخيص وإعادة التفكير في طرق التدريس ومضامينه، ويصدرون في كل عام رسائل علمية متعلقة بالتعليم.

ورغم أن هناك فوارق - فيما يخص مدرسي اللغة العربية- بين مختلف الجامعات باختلاف تاريخ فتح تخصص اللغة العربية وموقعها الجغرافي وأهدافها العلمية وغيرها من العوامل إلا أن مؤسسات التعليم العالي التي كانت سابقة إلى فتح تخصص اللغة العربية مثل جامعة بكين وجامعة الدراسات الأجنبية ببكين وجامعة اللغات والثقافة ببكين وجامعة الاقتصاد والتجارة الدولية والمعهد الثاني للغات الأجنبية ببكين وجامعة الدراسات الدولية بشأنغهاي وغيرها تمتلك هيئة تعليمية ممتازة، حيث إن ما يزيد عن 90% من الطاقم التعليمي هم حملة درجة الدكتوراه، بالإضافة إلى امتلاكهم تجربة الدراسة خارج الصين.

أما المؤسسات التعليمية العالية التي بدأت التركيز على تخصص اللغة العربية بعد مطلع القرن 21، فيبلغ عدد طاقمها التعليمي ما بين 3 مدرسين و12 مدرساً، ونسبة أصحاب رتب الأساتذة المساعدين فما فوق دون 20%، كما أن الشباب يمثلون نسبة مرتفعة من هؤلاء المدرسين، أو بالأحرى كلهم شباب، تعوزهم التجربة التدريسية وهم بحاجة إلى رفع مستواهم للغة العربية وقدرتهم على الترتيب المنظم والمنسق لكل عناصر المناهج الدراسية وقدراتهم على البحث العلمي. وضمن نظام تقييم أساتذة التعليم العالي، فإن المؤهل الدراسي شرط للتقييم المهني وشرط الموافقة على إجراء دراسات علمية بدعم مالي وشرط لنيل فرص السفر خارج الدولة للتدريب، لذلك يعدّ انخفاض المؤهل الدراسي عائقاً كبيراً في التطور المهني.

وبشكل موضوعي فإن نقص الأساتذة المتميزين من مدرسي اللغة العربية في الجامعات والمعاهد العالية هو نقص كبير جداً، كما أن هناك اختلالاً في الهيكل العمري والهيكل الوظيفي وهيكل الرتبة الجامعية، ونقصاً في روح المسؤولية والمستوى المهني عند بعض المدرسين، وهذه كلها مسائل تتطلب الحل العاجل. (4) هناك نقص في إدراك أهمية تخصص اللغة العربية كلغة غير متداولة من طرف الجهات المختصة بوضع السياسات، الأمر الذي أوقعه في موقع هامشي جعله لا ينال الدعم والاهتمام الكافيين. وقد نجم عن هذا معاناة هذا التخصص من ضيق ذات اليد فيما يتعلق بنفقات الموارد والمعدات التدريسية وتكوين الهيئة التعليمية وغيرها من الأساسيات، هذا بالإضافة إلى نقص نفقات التبادل الخارجي ونشاطات البحث العلمي، مما جعله يعاني من قنور في القوة التنموية.

إن أسباب المشاكل التي يعاني منها تعليم اللغة العربية في الصين متعددة الجوانب، فهي من ناحية عامة تتعلق بوضعية التبادل بين الصين والدول العربية، وبالوضع الاقتصادي والسياسي والأمني في السنوات الأخيرة في العالم العربي. وفي الوقت نفسه يعود جزء من هذه المشكلة لما يواجهه الدول العربية وتعليم اللغة العربية نفسها من تحديات في ظل العولمة، وما يشكله انتشار اللهجات المحلية من تأثير على استخدام وتعليم اللغة العربية الفصحى. إن عدم وجود استراتيجية موحدة لتطوير اللغة العربية لدى مختلف الدول العربية، وضعف الدعم لتعليمها بوصفها لغتهم الأم، إضافة إلى نواقص أخرى أعاق تطور تعليم اللغة العربية في الصين.

ورغم ما ذكر، تحرص الهيئات المعنية بتعليم اللغة العربية في الصين على تعزيز التعاون مع الهيئات العربية المعنية، وتحذونا الثقة بأن تعليم اللغة العربية ستكون له أفاق واسعة للتطور.

7 الخاتمة

إنّ تعليم اللغة العربية في الصين شأنه شأن تطور العلاقات العربية الصينية الممتدة، حيث يتحلى بتاريخه الطويل، وتجاربه الثمينة ونشاطاته العملية الثرية، ويستحق منا الدراسة والتلخيص الجادين. إن تعليم اللغة العربية في الصين هو رابط مهم للتواصل الودي بين الشعبين الصيني والعربي، ويمثل جزءاً مهماً من العلاقات الصينية العربية. ويبرهن مسار تطوره على أنه مكون مهم من مكونات تعليم اللغات الأجنبية في الصين الذي يشهد تطوراً مستداماً، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بتقدم ازدهار البلاد.

المراجع

- دينغ جيون، (2006). *الخطوط العريضة عن تاريخ تعليم اللغة العربية في الصين*. بكين: دار العلوم الاجتماعية الصينية للنشر.
- شوي تشينغ فو، (2006). *اللغة العربية في الصين الحديثة، مجلة حوار العرب* (16).
- فو كه، (1986). *تاريخ تعليم اللغات الأجنبية بالصين*. شانغهاي: دار تعليم اللغات الأجنبية بشانغهاي.
- قوه شاو هوا (2011). *دراسة في التطور التعليمي لتخصص اللغة العربية، أعمال مختارة لقوه شاو هوا*. بكين: دار التعليم والبحوث في اللغات الأجنبية للنشر.
- لي تشان تونغ، (2000). *طموح الباحث*. بينتشوان: دار الشعب للنشر بمنطقة نينغشيا.
- إنشاء وإطلاق عمل لجنة تأليف ومراجعة الكتب المدرسية للغات الأجنبية في الجامعات والمعاهد العالية، (1980). *مجلة تعليم اللغات الأجنبية والدراسة* (4).
- البرنامج التنفيذي لمندى التعاون الصيني العربي بين عامي 2020-2022، (2020). *مندى التعاون الصيني العربي*. <http://www.chinaarabcf.org>